مقدمة:

تعود العلاقات بين العرب وشعوب قارة إفريقيا إلى زمن بعيد، حيث كانت شبه جزيرة العرب متصلة بالقارة السمراء، قبل حدوث الزحزحة القارية، وظهور البحر الأحمر كفاصل بين المنطقتين. ولم يمنع هذا المسطح المائي الاتصال بين ضفتيه، ويرجح أن يكون هؤلاء وأولئك قد عاشوا في مكان واحد، إذ يوجد تشابه لغوي وثقافي وعرقي بين الطرفين، وتوطدت العلاقات أكثر بظهور الإسلام مع مطلع القرن السابع ميلادي، وذلك منذ الهجرة الأولى لبعض مسلمي مكة، واحتمائهم بنجاشي الحبشة.

1. بداية الوجود العربي في إفريقيا:

وجد العرب في إفريقيا قبل انتشار الإسلام بها، حيث كانت تربطهم بالقارة علاقات تجارية؛ إذ كان كثير من التجار العرب يعبرون البحر الأحمر باستمرار متجهين إلى الحبشة، وذلك خلال القرون الأخيرة قبل ميلاد المسيح عيسى عليه السلام(دونالد ويدنر، 2001، ص30)، ولا يعرف بالضبط متى بدأت الهجرة العربية نحو الحبشة بصحراء إفريقيا، لكن لا وجود لشواهد تؤكد حدوثها قبل القرن الخامس قبل الميلاد(اغناطيوس غويدي، 1986، ص79-80)، وقد توالت الهجرات العربية نحو المنطقة، حيث تؤكد المصادر أن العرب قد وصلوا إلى تشاد إما عن طريق النيل أو عبر الصحراء من ناحية الشمال واستقروا حول بحيرة تشاد، واختلطوا بالسكان الأصليين، وما يزال بعضهم حتى اليوم ذا لسان عربي في شمال الكاميرون وشمال شرق نيجيريا (إبراهيم علي طرخان، 1975، ص26)، ويشير صاحب كتاب شمال إفريقيا جنوب الصحراء، أن البيض -أي العرب- حكموا وادي نهر النيجر ما بين القرنين الخامس والثامن ميلاديين(دونالد ويدنر، 2001، ص38).

يبدو أن الهجرات العربية الأولى نحو إفريقيا، استهدفت سواحلها الشرقية في البداية قبل أن تتوغل في الداخل، نظرا لقرب سواحل القارة (سواحل الصومال، كينيا، الحبشة ومصر)، من شبه الجزيرة العربية. فعلاقات العرب مع الصومال مثلا، تعود إلى عهد انهيار سد مأرب وما ترتب عنه من إضعاف للحياة الاقتصادية الزراعية، واضطرار السكان إلى الهجرة إلى وجهات مختلفة منها سواحل الصومال (أرنولد سير طوماس، 1970، ص379-380).

2. طرق القوافل التجارية عبر الصحراء الكبرى من خلال المصادر العربية:

لقد أمدتنا المصادر العربية بمعلومات وافية عن طرق القوافل التجارية عبر الصحراء الكبرى، مبرزة أثرها في نشر الإسلام بهذه الربوع. فعبرها كانت تتم المبادلات التجارية منذ القدم، وبفضلها كان اتصال إفريقيا جنوبي الصحراء بحضارات العالم القديم، التي ظهرت بحوض البحر المتوسط كالحضارة الفينيقية والحضارة الإغريقية والحضارة الرومانية؛ حيث خلفت هذه الحضارات معلومات هامة عن المسالك الصحراوية. ولعل المصادر العربية قد استفادت من الرسومات والنقوش التي خلفتها شعوب صحراء إفريقيا، إذ ساعدت هذه الآثار إلى حد كبير على معرفة الطرق الصحراوية ومراكز الشعوب الإفريقية قديما، خاصة بحوض نهري النيجر والسنغال (أحمد إلياس حسين، 1986، ص193).

أما العصر الذهبي للطرق في إفريقيا جنوبي الصحراء، فيبدأ بانتشار الإسلام في شمال إفريقيا واستقرار المسلمين هناك، وتكثيفهم اتصالاتهم بجنوبي الصحراء ما بين المحيط الأطلسي غربا وبحيرة تشاد شرقا، وقد دونت المصادر العربية الكثير من المعلومات عن الأنشطة الاقتصادية والثقافية لسكان المنطقة، وعلاقاتهم الاجتماعية، وأنظمتهم السياسية، ومن هذه المصادر نذكر ما يلي:

كتاب البلدان لليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح، ت 284هـ/897م): تضمن معلومات هامة عن الطرق الصحراوية، حيث أشار إلى طريق الذهب الممتد من سجلماسة إلى